المحاضرة السابعة: الجنرال ديغول وسياسته الاستعمارية 1958-1962

لقد عجّل انقلاب 13 ماي 1958 الذي قام به الجنرالات في الجزائر مدعمين بالأقدام السوداء إلى تعيين الجنرال ديغول في أول جوان 1958 منحت الجمعية الوطنية الفرنسية ثقتها في الرئيس الجديد الجنرال شارل ديغول (Charles De Gaulle) الذي جاء دوره بعد تعيينه في مطالبته لهذه الجمعية منحه صلاحيات استثنائية كبيرة الهدف منها إنقاذ فرنسا وسياستها من الأوضاع المتردية التي تسببت فيها ثورة التحرير الجزائرية والتي اعتبرها ديغول حرب استنزاف لكيان الأمة الفرنسية ، وقد ارتكز اهتمامه من خلال سياسته المطبقة في الجزائر على مبدأ فكرة الأخوة (Fraternité) التي تدخل بدورها في الإطار العام لسياسته القائمة على فكرة الجزائر الفرنسية (L'Algérie française) (معتمدا في ذلك على مشروعه الرهيب وهو مشروع قسنطينة الذي أعلن عنه في خطابه الذي ألقاه بمدينة قسنطينة بتاريخ 3 أكتوبر 1958 ، يضاف إلى مشروعه هذا نداءه الخاص الذي وجهه إلى قادة ومجاهدي جيش التحرير الوطني في 23 أكتوبر 1958 والذي أطلق عليه سلم الشجعان (La paix des braves) ، وبالموازاة مع هذا المنهج الرامي إلى خنق الثورة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا كانت العمليات العسكرية الفرنسية ضد جيش التحرير تزداد اتساعا على يد الجنرال شال ، لكن هذا النوع من السياسة فشل أمام صلابة جبهة وجيش التحرير الوطنيين وتماسكهما أقنع الجنرال ديغول بعد انتخابه على رأس الجمهورية الخامسة في أوائل 1959 بضرورة البحث عن حل موازي تمثل في فكرة تقرير المصير وهي الفكرة التي جاءت بناء على تصريحه في 16 سبتمبر 1959 لكن الاستفتاء حول تقرير المصير ذاته وضع سياسته أمام ثلاثة مسائل وهي مسالة الإدماج مع فرنسا أو مسألة الانفصال عن فرنسا أو مسألة الفدرالية مع فرنسا وقد انتهت سياسته في الجزائر بعد الهزائم التي منيت بها فرنسا سياسيا وعسكريا بفكرة قبول تقرير المصير الذي يتولاه الجزائريون بأنفسهم ، وقد حصل ذلك مع بداية 1961 محاولا ترسيخ مصطلح الجزائر جزائرية (L'Algérie algérienne) إلى جانب تصريحه الرنان الذي جاء فيه عبارة لقد فهمتكم (Je vous ai compris) غير أن مظاهرات 11 ديسمبر1960 أكدت له تمسك الشعب الجزائري بممثله الشرعي والوحيد جبهة التحرير الوطني التي كانت تطالب على الدوام بالاستقلال الكامل غير المنقوص لتبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة المفاوضات التي حافظ من خلالها ديغول على ماء وجه فرنسا حتى لا تكون هناك هزيمة ثانية عسكرية في الجزائر مثل هزيمة ديان بيان فو في الهند الصينية.

انقلاب 13 ماي 1958

-ما من شك أن تزايد الهيمنة العسكرية في الجزائر على الإدارة شجع الأقدام السوداء في الوقوف إلى جانب العسكريين والتمسك بالجزائر فرنسية وقطع أي اتصال مع جبهة التحرير الوطني ورفض كل الحلول السياسية التي من شأنها تعرض مصالحهم إلى الخطر وحتى لاكوست نفسه لم يخف تخوفه من "ديان بيان فو دبلوماسية جديدة".هذه الأوضاع دفعت بالأقدام السوداء المطالبة بتغيير الوضع في باريس نفسها وطالبوا حكومة بفليملين PFLIMLIN الجديدة تكوين وزارة للأمن العام خاصة بعد إعدام جيش التحرير لثلاثة جنود فرنسيين وهذا ما أثار حفيظة الأقدام السوداء والجنرالات، حيث أجبر روبير لاكوست على مغادرة مقر وزارته بالجزائر في 10 ماي 1958 خاصة و أنه كان على علم بأن اسمه لم يذكر في تشكيلة الحكومة الجديدة.إن تسارع الأحداث دفع بالضباط العسكريين إلى الإسراع في الاستيلاء على السلطة من خلال تشكيل لجنة الأمن العام وذلك في ليلة 13و14 ماي وقد تزعم هذه الحركة كل من ماسو وصالان وأيدهم في ذلك سوستال الذي وصل الجزائر في 18 ماي.

أما في باريس فقد انتشر خبر الانقلاب العسكري، الذي لم يستحسنه أحد إلى غاية تعيين الجنرال ديغول رئيسا للحكومة الفرنسية في 1 جوان 1958، ثم زيارته للجزائر في 4 جوان 1958 مباشرة حيث قال قولته الشهيرة "لقد فهمتكم" « je vous ai compris » ثم وجه كلامه للأهالي قائلا:"إن فرنسا من الآن فصاعدا تعتبر سكان الجزائر نمطا واحدا، فليس هناك إلا فرنسيون لهم نفس الحقوق ونفس الواجبات .... وهذا يعني أن وسائل العيش ستمنح للذين لم يحصلوا عليها سابقا...".

فكرة الأخوة (Fraternité)

هذه الفكرة عبارة عن طرح سياسي يدخل ضمن استراتيجية ديغول المطبقة في الجزائر وقد حاول من خلال هذا الطرح متلاعبا ، التساوي من حيث الشكل بين الجزائريين والأقدام السوداء في الحقوق والواجبات وقد كان هدفه يرمي إلى اعتبار الجزائريين مواطنون فرنسيون قصد كسب أصواتهم في الانتخابات الرئاسية في شهر ديسمبر 1958 .

الجزائر الفرنسية (L'Algérie française)

فكرة تبناها أجداده المحتلون الأوائل عام 1830 والتي عبر عنها بنفسه في مذكراته قائلا :

'' إن رجالا تاريخيين أمثال دي بورمون وبيجو وكلوزيل هم الذين بذلوا جهودا جبارة من أجل إلحاق الجزائر بفرنسا وليس من المعقول أن تضيع هذه المستعمرة في حكومتنا ...''

كما أنه طبق هذا المصطلح ميدانيا في الاستفتاء على دستور الجمهورية الخامسة في 28 سبتمبر 1958 حيث أجري الاستفتاء في الجزائر على غرار ما وقع في مقاطعات التراب الفرنسي ،وبذلك يكون الجزائريون قد صوتوا تحت طائلة التهديد والخوف على مبدأ الموافقة على الدستور أو رفضه وهو عكس ما وقع في المستعمرات الأخرى مثل أفريقيا الغربية والوسطى التي صوتت على فكرة البقاء أو الانفصال عن الاتحاد الفرنسي .

سلم الشجعان (La paix des braves)

هو النداء الذي وجهه ديغول في 23 أكتوبر عام 1958 إلى جيش التحرير الوطني بكل فئاته دون أن يستثني الطبقات السياسية وقد دعاهم فيه إلى الاستسلام في أقرب الآجال ويكون ذلك عن طريق رفع الأعلام البيضاء ومما قاله في هذا النداء ما يلي :

'' على الذين بدؤوا القتال أن يوقفوه .. وعليهم أن يعودوا إلى منازلهم وذويهم وعلى قادتهم أن يتصلوا بقادتنا العسكريين بواسطة استعمال العلم الأبيض ، أما أعضاء الوفد الخارجي للثورة فما عليهم إلا أن يتجهوا إلى سفارة فرنسا في تونس أو الرباط كي تضمن نقلهم إلى فرنسا لكي يبحثوا شروط الاستسلام في النطاق الفرنسي ، وأما المستقبل السياسي للجزائر فلا مجال للتعرض له لأن هذا المستقبل قرره استفتاء 28 سبتمبر 1959 .

تقرير المصير

بعد فشل ديغول في المرحلة الأولى من سياسته انتقل إلى المرحلة الثانية وهي تقرير مصير الشعب الجزائري وكانت البداية بتصريح 16 سبتمبر 1959 الذي اعترف فيه لأول مرة بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بنفسه متحملا في الوقت نفسه كل النتائج وقد شمل هذا التصريح النقاط التالية :

1-الوعد بإجراء استفتاء حر ونزيه حول مستقبل الشعب الجزائري مع قبول تواجد مراقبين دوليين .

2-يجسد الاستفتاء ميدانيا بعد أربع سنوات من التهدئة (Pacification) مع ربط ذلك بالعام الذي لا يتجاوز فيه عدد القتلى مائتان .

3-للجزائريين في هذا الاستفتاء اختيار بين واحد من المسائل الثلاثة :

-مسألة الانفصال عن فرنسا أو مسألة الإدماج مع فرنسا أو مسألة الفدرالية مع فرنسا

مسألة الإدماج مع فرنسا

تعني العودة إلى المساواة في الحقوق والواجبات بين كل الجزائريين المسلمين والأقدام السوداء واليهود ،وقد كان ديغول يحبذها لأنه يرى في تطبيقها إتاحة عدة فرص للجزائريين ليتمكنوا من ممارسة جميع الوظائف السياسية منها والإدارية وحتى القضائية وكل الوظائف ذات الطابع الحكومي ، كما أن هذا الإدماج سيسمح للجزائريين في سياسة ديغول من الحصول على جميع المزايا التي يتمتع بها الفرنسيون في فرنسا ذاتها .

مسألة الانفصال عن فرنسا

إن فكرة الانفصال عن فرنسا كانت إحدى الأهداف الأساسية في كفاح جبهة وجيش التحرير الوطني وهذا ما جعل ديغول يمقت هذه الفكرة أساسا لأنها تعارض سياسته في الجزائر ولا تخدم مصالح بلاده ، لذلك اعتبر الانفصال فوضى ستسمح للشيوعية من بسط نفوذها وأكد أنه إذا قرر أغلبية الجزائريين تطبيق هذه الفكرة فإن الشريحة التي تريد بقاء فرنسا وأن تظل فرنسية فإن فرنسا بدورها لن تتخلى عنها ، ويمكن تجميع هؤلاء الجزائريين تحت إشرافها وسوف يبقى البترول من اختصاص فرنسا وحدها .

مسألة الفيدرالية مع فرنسا

تتمثل مسألة الفيدرالية في تشكيل حكومة جزائرية ترتبط بفرنسا ارتباطا عضويا في شتى الميادين الاقتصادية والثقافية والعسكرية، إلى جانب كل القضايا المتعلقة بالعلاقات الخارجية ذات الطابع السياسي بالدرجة الأولى ، وعليه فإن النظام داخل الجزائر يكون خاضعا للنظام الفيدرالي الذي يسمح لكل الأقليات والجاليات والأعراق من العيش تحت الرعاية الفرنسية .

الجزائر جزائرية(L'Algérie algérienne)

مصطلح سياسي نادى به الجنرال شارل ديغول وكان يهدف من ورائه إلى تهميش جبهة التحرير الوطني والعمل على تكوين جزائر بدونها وهذا ما سعى إليه مع بداية جويلية 1960 حيث قام بتأليف لجنة مكونة من 120 شخص من مجلس الشيوخ والبرلمان وكذلك المجالس الإقليمية والغرف التجارية و الفلاحية ورؤساء البلديات وبعض المستشارين وقد تشكلت لهذا الغرض أربع لجان هي :

-اللجنة الأولى مكلفة بالإصلاح الزراعي وتطبيق الجزء المتعلق بالزراعة من مشروع قسنطينة .

-اللجنة الثانية مكلفة بالإصلاح المالي محليا .

-اللجنة الثالثة مكلفة بالإصلاح الإداري وتنظيم خلاياه الرئيسية .

-اللجنة الرابعة مكلفة بدراسة الوسائل المساعدة على خلق مجموعات طائفية وعرقية تكون تمهيدا لتقسيم الجزائر مستقبلا.